المدينة العادلة

اذا ذكر ابن سينا ذكر معه التفاؤل ، والاقبال على الحيـاة والميل الى النهوض بأعباء السياسة والتعرض لتقلباتها . فقد كان يشتغل بتصريف أمور الدولة في النهار ، ويعكف على التدريس والتأليف في الليل حتى بلغ من أسباب الدنيا كثيراً مما لم يبلغه غيره من رجال الفكر . ومن عرف أن هذا الفيلسوف العظيم كان يستمدُّ آراءه السياسية من الفلسفة اليونانية تارةً ، ومن الشريعة الاسلامية تارةً أخرى ، وأنه كان بالاضافة الى ذلك وزيراً خطيراً وطبيباً حاذقاً تهيأ له الحياة العملية كثيراً من الملاحظات والتجارب وتضطره في الوقت نفسه الى المحافظة على التقاليد ، لم يعجب لتقيده في وصف المدينة العادلة بشروط الحياة الواقعيـة .

ان المدينة العادلة التي تصورها ابن سينا هي المدينة التي يسن فيهـا رئيسها للناس سنناً « تعرفهم بأن لهم صانعاً واحداً قادراً ، وانه عالم بالسر والعلانية ، وأن من حقه أن يُطاع أمره . وأنه قد أعدَّ لمن أطاعه المعاد المسعد ، ولمن عصاه المعاد المشقي »[1] . وحاجة هذه المدينة العادلة الى رئيس صالح يسنّ السنن بالعدل ، ويدبر أحوال الناس على ما تنتظم به أسباب حياتهم أشد من حاجة البدن الى الغذاء . فان الانسان كما يقول أرسطو مدني بالطبع لا يستطيع أن يعيش منفرداً من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته[2] ،

---

(١) الشفاء ، فصل في اثبات النبوة وكيفية دعوة النبي الى الله تعالى وللمعاد اليه . النجاة ، ص ٣٠٤ ، طبعة القاهرة ١٩٣٨ . راجع أيضاً محمد يوسف موسى ، الناحية الاجتماعية والسياسية في فلسفة ابن سينا ، ص ٩ .

(٢) الشفاء ، الفصل نفسه . النجاة ، ص ٣٠٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلا بدّ إذن في وجود الناس وبقائهم من المشاركة والمعاملة ، ولا بدّ في هذه المعاملة من أن تكون على أساس سنة وعدل ، ولا بدّ للسنة من رئيس صالح يدبر الناس ويصلح أمورهم . ووجود هذا الرئيس الصالح واجب في العناية الإلهية ، لأن العناية كما يقول ابن سينا : « هي إحاطة علم الأول بالكل وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن النظام »[1] فلا يجوز إذن أن تقتضي العناية الإلهية هذا النظام الكلي ، ولا تقتضي في الوقت نفسه وجود نبي يشرع للناس نظاماً عادلاً . فكما أن لكل فلك من الأفلاك عقلاً مدبراً يصدر عن العقل الذي فوقه ، فكذلك يجب أن يكون للمدينة العادلة نبي يدبر أمرها بما يوحى اليه . وكما أن لكل فلك من الأفلاك عقلاً يصدر عنه عقل آخر تحته ، فكذلك ينبغي أن يكون لكل نبيّ خليفة يحفظ السنة بعده . واذا كان الإنسان الفائز بالخواص النبوية يكاد أن يكون رباً إنسانياً تحل عبادته[2] ، فخليفته الذي في الأرض يشبه العقل الأول ، كما أن ملوك الأفاليم يشبهون العقول المفارقة . وهكذا تحتذي المدينة العادلة في نظامها نظام الوجود ، كالمدينة الفاضلة التي أشار اليها الفارابي ، ولكنها لا تضرب بشروط الحياة الواقعية عرض الحائط ولا تهمل ما تشتمل عليه النفس الانسانية من قوى فاعلة ومنفعلة . فاذا قال ابن سينا كما قال أفلاطون ان المجتمع مؤلف من ثلاث طبقات هي : طبقة المدبرين ، وطبقة الحفظة ، وطبقة الصناع[3] . فان السبب في ذلك يرجع الى اشتمال النفس الانسانية على ثلاث نفوس هي : النفس العاقلة ، والنفس الحيوانية ، والنفس النباتية . وهذا التقسيم الثلاثي الذي أولع

(١) الاشارات ، ص ١٨٥ ، من طبعة ليدن . النجاة ص ٢٨٤ .
(٢) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام ووجوب طاعتها والاشارة الى السياسات والمعاملات والأخلاق .
(٣) الشفاء ، فصل في عقد المدينة وعقد البيت وهو النكاح والسنن الكونية في ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

به ابن سينا تجده في مراتب الناس كما تجده في مراتب الوجود ، لأن الفيض عنده يقتضي أن يصدر عن كل عقل ثلاثة أشياء هي : العقل ، والنفس ، والفلك ، كما يستلزم أن تكون الموجودات ثلاثة أقسام : الواجب بذاته ، والواجب بغيره ، والممكن بذاته . وأن يكون للكليات ثلاثة أنماط في الوجود : وجودها في علم الإله قبل الكثرة ، ووجودها متكثرة في الاعيان ، ووجودها في العقل الانساني بعد الكثرة . فالموجودات ثلاثة ، والنفوس ثلاث ، والفضائل ثلاث ، وطبقات المجتمع ثلاث ، تدل كل طبقة من طبقاته على قوة من قوى النفس أو على مرتبة من مراتب الوجود .

فلا فرق اذن في نظر ابن سينا بين المدينة المثالية والمدينة الواقعية ، بل النظام الواقعي الذي يتكلم عنه يتفق في النهاية ونظام الوجود . ومن تذكر رأيه في فيض العالم عن المبدأ الأول ، وكلامه عن العقل الفعال وفيض الصور عنه على العالم الأسفل ، وكلامه عن الوجود كيف ابتدأ من الأشرف فالأشرف حتى انتهى الى الهيولى ، لم يعجب لاتفاق نظام المدينة العادلة ونظام الكون ، فكأن في كل شيء محسوس صورة من عالم الإله ، وكأن كل نظام واقعي منسوج على منوال النظام المثالي . وسواء أكان الوجود طبيعياً محسوساً ، أم عقلياً مجرداً ، فان القانون الكلي المسيطر عليه قانون حتمي يوحد بين المثل الأعلى والواقع ويجمع بين الألوهية والانسانية .

فليس من الخير إذن تبديل هذا النظام ما دام مصبوغاً بصبغة الإله ، كما انه ليس من الحكمة إبطال طبيعة النار المحرقة ما دام نفعها أكثر من ضررها [1] . وأي نظام هو أحسن من نظام يغلب فيه الخير على الشر ، لا بل أي مجتمع هو أفضل من مجتمع وطدت الشريعة الإلهية أركانه ، وثبت العقل دعائمه ؟

(١) النجاة ص ١٨٧ و ١٨٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واذا علمنا ان الشريعة والحكمة في نظر ابن سينا متفقتان أدركنا ان الانسان إنما يصل الى السعادة بطريقين أحدهما طريق الشريعة والآخر طريق الحكمة . فالعامي يواظب على العبادات ، ويخضع للأحكام الشرعية والوضعية ، والفيلسوف ينصرف بفكره الى السعادة الروحية المحضة . واذا جاز للفيلسوف الملهم أن يتحرر من بعض القيود الاجتماعية فانه لا يجوز لجمهور الناس أن يخالفوا النظام الديني ولا أن يثوروا عليه ، ولا أن يتعرضوا للمدن الأخرى التي لها سنة مثل سنتهم .

ولكن اذا أوجب التصريح في وقت ما بأن لا سنة غير السنة النازلة ، وكان هناك مدينة حسنة السيرة يصرح أهلها بأن هذه السنة وإن كانت محمودة ، فانه ليس من حقها أن تعمّ المدن كلها فحينئذٍ يجب أن يؤدب أهل هذه المدينة المخالفة حتى لا يستولي على السنة بامتناعهم عنها وهن عظيم . وكيف لا يؤدبون « وقد امتنعوا عن طاعة الشريعة التي أنزلها الله تعالى »[1] ، فان هلكوا كان في هلاكهم فساد لأنفسهم وبقاء للسنة ، وان رؤيت مسالمتهم فرضت عليهم جزية أو ألزموا بدفع غرامة .

فالمدن إذن ثلاث : مدينة ضالة يجب دعوتها الى الحق ، ومدينة ذات سنن مخالفة تكذب صاحب السنة الكريمة ، ومدينة ذات سنة أنزلها الله تعالى . وهذه المدينة الأخيرة هي المدينة العادلة .

وابن سينا يرسم للانسان في هذه المدينة برنامجاً مفصلاً يقوم على تنزيه النفس وتكميل قوتها النظرية باكتساب المعرفة حتى تعرف ما فوقها ، وتتصل بالعقل الفعّال ، وتصير عالماً عقلياً مجرداً ، كما يقوم على تكميل القوة العملية بالفضائل ، وعلى طاعة الشريعة التي أنزلها الله تعالى . وعلى هذا النحو يكون الثواب في

(١) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام ووجوب طاعتها والاشارة الى السياسات والمعاملات والأخلاق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الآخرة متناسباً مع الدرجة التي بلغتها النفس من المعرفة كما يكون متناسباً مع صفاء جوهرها من كدورة الطبيعة .

ولذلك كان العامي أحق الناس باتباع الأخلاق والعادات التي سنها الشارع حتى يتعود الأفعال الجميلة بتكرارها مراراً كثيرة ، وزماناً طويلاً على أساس التوسط بين الأخلاق المتضادة . ولذلك أيضاً كان الفيلسوف أحق الناس بسلوك طريق المعرفة حتى يدرك المعقولات ، ويجمع بين العلم والعمل ، وينظم سلوكه وفقاً لنظام الوجود . فاذا أباح الفيلسوف لنفسه شرب الخمر شربها تشفياً وتداوياً لا تلهياً [١] ، واذا عرضت له لذة استعملها على الوجه الذي توجبه الحكمة لإصلاح الطبيعة وبقاء الشخص والنوع . ومتى صادف نفسه قد مالت الى جهة النقصان جذبها الى جهة الزيادة ، ومتى صادفها قد مالت الى جهة الزيادة جذبها الى جهة النقصان [٢] .

ومن واجب أصحاب السياسات الجيدة أن يجعلوا أهل المدن أخياراً بما يعودونهم من أفعال الخير ومن واجب الفيلسوف ان يقاوم أصحاب السياسات الرديئة الذين يجعلون أهل المدن أشراراً بما يعودونهم من أفعال الشر [٣] . فاذا وجد الفيلسوف ظلماً لا يستطيع دفعه هرب الى مدينة غير مدينته ، واذا أخذ وسجن عمل على الخروج من السجن ، فهو لا يعين ظالماً على مظلوم ، ولكنه لا يرضى بأن يظلم كما ظلم سقراط . وهو لا يؤيد من خرج على السنة فادعى الخلافة بفضل قوة أو مال ، بل يدعو أهل المدينة العادلة الى قتاله وقتله [٤] ، وكل من كان قادراً على قتل هذا الخارجي ولم يفعل فقد كفر بالله وأحل دمه . فلا قربة

(١) تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ، الرسالة التاسعة في علم الأخلاق ، ص ١٥٥ .
(٢) تسع رسائل ، الرسالة الثامنة في العهد ، ص ١٤٨ .
(٣) تسع رسائل ، الرسالة الثامنة في العهد ، ص ١٤٧ .
(٤) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام . محمد يوسف موسى ، الناحية الاجتماعية والسياسية في فلسفة ابن سينا ، ص ٢٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عند الله بعد الايمان بالنبي أعظم من اتلاف الظالم المتغلب . وان وجد الحكيم ان المتولي للخلافة قد مني بنقص في عقله وسياسته ، وان الذي خرج عليه أكمل منه سياسة وأعظم عقلاً حكم بأن مصلحة المدينة العادلة تقتضي توسيد الحكم الى الخارجي دون الخليفة ، وان وجد أن أحدهما أعقل والثاني أعلم حكم بتوسيد الحكم اليهما معاً . لأن من شرط الخليفة في المدينة العادلة أن يكون أصيل العقل ، مستقلاً بالسياسة ، شجاعاً ، عفيفاً ، حسن التدبير عالماً بالشريعة ، وان يكون استخلافه من جهة اللسان بنص أو باجماع من أهل السابقة [1] .

وابن سينا يضع لهذا الخليفة برنامجاً سياسياً شبيهاً بالبرنامج الذي وضعه (فنلون) للدوق (دوبورغوني) ، فيدعوه الى تأمل ما يجري عليه تدبير العالم من الحكمة وحسن اتقان السياسة ويوصيه بالاشراف على العبادات والاجتماعات العامة والاشتراك في المعاملات التي تبنى عليها أركان المدينة ؛ ويطلب منه أن يحول دون وقوع الحيف في المعاملات المؤدية الى الأخذ والعطاء ، وان يدعو الناس الى معاونة الناس والذب عنهم ووقاية أموالهم وأنفسهم ، ومقاتلة الأعداء وإفنائهم . ومما يجب أيضاً على الخليفة أن يصون الشريعة بمعاقبة الناس على ارتكاب المعاصي الداعية الى فساد نظام المدينة مثل الزنا والسرقة ومواطأة الأعداء ، ويشترط في هذه العقوبات أن تكون معتدلة لا تشدد فيها ولا تساهل ، كما يشترط في ضبط المدينة أن يرتب المدبرون والصناع والحفظة ترتيباً صالحاً ، وأن يكون لكل منهم رئيس تحته رؤساء يلونه الى أن ينتهي الأمر الى افناء الناس . فلا يكون في المدينة بطالة ولا انسان معطل ليس له مقام محدود . ويجب أيضاً أن يكون في المدينة مال مشترك يؤخذ من الأرباح المكتسبة والطبيعية لإنفاقه على المصالح العامة وعلى الحفظة الذين لا يشتغلون بصناعة ،

(١) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام ، يقول ابن سينا : « الاستخلاف بالنص أصوب » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعلى الشيوخ والمقعدين الذين حيل بينهم وبين الكسب بأمراض وزمانات ، فان قوت هؤلاء لا يجحف بالمدينة . وكما انه يجب تحريم البطالة فكذلك يجب تحريم الصناعات التي تنتقل فيها الأموال والمنافع من غير مصلحة بازائها مثل القمار فإنه يكسب ربحاً من غير منفعة البتة ، ومثل السرقة واللصوصية والقيادة فانها تدعو الى أضداد المصالح والمنافع ، ومثل المراباة فانها طلب زيادة كسب من غير حرفة تحصله ، ومثل الزنا الذي يدعو الى الاستغناء عن أفضل أركان المدينة وهو الزواج [1] .

وهنا نجد ابن سينا يشدد في أمر الزواج فيشترط فيه أن يكون ظاهراً علنياً ، حتى لا يقع خلل في انتقال المواريث ، وأن يكون ثابت الدعائم فلا تقع الفرقة بين الزوجين لأقل سبب .

ومن أجل ذلك أيضاً يرى أن لا يكون الطلاق بيد المرأة لأن المرأة في نظره واهية العقل ، مبادرة الى طاعة الهوى والغضب . فمن حق الرجل أن يملكها ، وعليه أن يصونها ويكفيها حاجتها ، وليس من حقها أن تملك الرجل ولا أن تكون من أهل الكسب .

وكما أن المرأة أكثر انخداعاً وأقل للعقل طاعة ، فكذلك الناس منهم من يكون بعيداً بطبعه عن تلقي الفضيلة كالذين نشأوا في الأقاليم الشمالية والجنوبية ، ومنهم من يكون حسن المزاج كالذين نشأوا في الأقاليم المعتدلة الشريفة [2] .

ولسنا في حاجة الى القول ان رأي ابن سينا في المرأة وفي تفاوت طبائع الناس انما يرجع الى تأثير أرسطو من جهة والى تأثير التقاليد الاجتماعية المحيطة به من جهة أخرى . فهو لم يخالف في ذلك آراء أهل زمانه ، ولم يفكر في نظام اجتماعي مختلف عن النظام المألوف . ومن عرف أنه كان وزيراً ، وانه كان

(١) الشفاء ، فصل في عقد المدينة وعقد البيت .
(٢) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه أن يدبر أمور الدولة ، لا أن يبدل نظامها ويقلب أوضاعها لم يعجب لتمسكه بجبل الأوضاع الاجتماعية الراهنة . وكيف يفكر في تبديل هذا النظام وهو نظام إلهي ثابت رتبت أوضاعه كترتيب الموجودات ، لا بل كيف يتصور عالماً على غير هذا النمط من الوجود والخير فيه مقتضى بالذات . ان المجتمع الانساني لا يصبح كاملاً الا اذا عمل كل فرد من أفراده على اكتساب الكمالات الخاصة به . وأول هذه الكمالات أن يعلم الانسان أن له عقلاً هو السائس ونفساً أمارة بالسوء كثيرة المعايب ، فاذا ثقف عقله وهذّب نفسه استطاع أن يبلغ غايته ، ولكنه اذا اتبع اللذات الخسيسة وانغمس فيها عجز عن إدراك السعادة .

وليس اكتساب هذه الكمالات الانسانية خاصاً بفئة من الناس دون غيرها ، بل المدبرون والحفظة والصناع في هذا الأمر سواء « ويحتاج أصغرهم شأناً ، وأخفهم ظهراً وأرقهم حالاً وأضيقهم عَطَناً ، وأقلهم عدداً من حسن السياسة والتدبير ، ومن كثرة التفكير والتقدير ، ومن قلة الاغفال والاهمال ، ومن الانكار والتأنيب والتعنيف والتأديب والتعديل والتقويم الى ما يحتاج اليه الملك الأعظم ، بل لو قال قائل ان الذي يحتاج اليه هذا من التيقظ والتنبه ومن التعرّف والتجسّس والبحث والتنقير ، والفحص والتكشيف أو من استشعار الخوف والوجل ومجانبة الركون والطمأنينة ، والاشفاق من انفتاق الرتق واختلال السدّ أكثر ، لأصاب مقالاً . لأن الفذّ الذي لا ظهير له ، والفرد الذي لا معاضد له أحوج الى حسن العناية ، وأحق بشدة الاحتراز من المستظهر بكفاية الكفاة ورفد الوزراء والأعوان ، ولأن المعدم الذي لا مال له يحتاج من ترقّح العيش ومرمّة الحال الى أكثر مما يحتاج اليه الغني الموسر »[1] . فلا غرو اذا حسنت أخلاق الفقراء وساءت أخلاق الرؤساء ، لأن الناس

(١) ابن سينا ، كتاب السياسة ، ص ٤ . من مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب طبع بالمطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يكتمون عن الرؤساء عيوبهم ويغشونهم بالثناء الكاذب . ويغرونهم بالتقريظ الباطل ، وليس كذلك حال من دونهم من السوقة ، فان أعداءهم يعيرونهم بالمعايب والمثالب ، كما أن أصدقاءهم ينبهونهم على عيوبهم فيصلحون أخلاقهم ويصبحون أقل استرسالاً من الرؤساء .

وابن سينا لا يوجب على العامة ملوكاً كانوا أو سوقة أن يتعلموا الفلسفة وأن يرتقوا بعقولهم الى تصور حقيقة الله كالعلم بأنه غير مشار اليه في مكان ، وانه غير منقسم بالقول ، وانه ليس خارج العالم وداخله ، فان عامة الناس لا يمكنهم أن يتصوروا هذه الأحوال على وجهها ، ولا ان يدركوا حقيقة التوحيد والتنزيه ، ويكفيهم من معرفة الله أن يصدقوا بوجوده ، وان يعلموا انه واحد حق لا شبيه له [1] ، وان ينصرفوا بعد ذلك الى تطبيق الأحكام الشرعية والاشتغال بالأعمال الدنيوية . فان الحقيقة في نظر ابن سينا يجب أن يضنّ بها على غير أهلها ، وأن تصان عن المتبذلين والجاهلين ، قال : « فان وجدت من تثق بنقاء سريرته ، واستقامة سيرته ، وبتوقفه عما يشرع اليه الوسواس ، وبنظره الى الحق بعين الرضى والصدق فآته ما يسألك منه مدرجاً مجزءاً مفرقاً ... وعاهده بالله وبإيمان لا مخارج لها ليجري فيما تؤتيه مجراك ، متأسياً بك ، فان أذعت هذا العلم واضعته فالله بيني وبينك ، وكفى بالله وكيلا »[2] .

فليس من مصلحة المدينة العادلة أن يشتغل الناس جميعاً بمثل هذه المباحثات والمقاييسات ، لأن ذلك قد يوقعهم في آراء مخالفة لصلاح المدينة ، فتكثر فيهم الشكوى ، وتزداد بهم الشبه ، ويصعب على السائس ضبطهم . فينبغي لمن رام أن يكاشف الناس بالحقائق الإلهية ، أن لا يكلمهم عنها إلا برموز وإشارات من الأشياء المألوفة عندهم ، وان لا يضرب للسعادة والشقاوة إلا أمثالاً مما

(١) الشفاء ، فصل في اثبات النبوة وكيفية دعوة النبي الى الله تعالى والمعاد اليه .
(٢) الاشارات ، ص ٢٢٢ ، من طبعة ليدن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يفهمونه ويتصورونه . وأما الحق في ذلك فلا يلوح لهم منه الا أمراً مجملاً . فما كل ميسر له في الحكمة الإلهية [١] .

وقد جعل الله الناس في عقولهم وآرائهم متفاضلين كما جعلهم في أملاكهم ومنازلهم ورتبهم متفاوتين . ولو كان الناس جميعاً ملوكاً لتفانوا عن آخرهم . ولو كانوا كلهم سوقة لهلكوا بأسرهم ، كما أنهم لو استووا في الغنى لما مهن أحد لأحد . ولو استووا في الفقر لماتوا ضراً وهلكوا بؤساً . وذو المال الغفل من الأدب اذا تأمل حال العاقل المحروم ظن أن المال الذي وجده خير من العقل الذي عدمه . وذو الأدب المعدم اذا تفقد حال المثري الجاهل لم يشك في أنه فضل عليه وقدم دونه . وكل ذلك من دلائل الحكمة وشواهد لطف التدبير وامارات الرحمة والرأفة [٢] .

ان نظام المدينة العادلة في نظر ابن سينا يستلزم تفاوت الناس في مراتبهم وصفاتهم كما يقتضي أن تكون الثقافة خاصة بفئة معينة من الناس هي النخبة المختارة من الشعب . فالمرأة غير مساوية للرجل ، والعروق البشرية الناشئة في الأقاليم المعتدلة أكمل من العروق الناشئة في الأقاليم الشمالية والجنوبية . والنظام الاجتماعي الذي سنته الشريعة لا يختلف عن نظام الخير الذي أفاضه الله على الوجود .

فينبغي للانسان اذا رام أن يكون سعيداً أن يتقيد بهذا النظام وأن يعمل على سياسة نفسه وسياسة أهله وولده سياسة عادلة . واحق الناس وأولاهم بتوطيد أركان النظام الاجتماعي الملوك ومن يليهم من الوزراء والرؤساء والولاة . فان المدينة العادلة لا تستطيع البقاء الا اذا كافحت جميع القوى العمياء التي تعمل

(١) الشفاء ، فصل في اثبات النبوة وكيفية دعوة النبي الى الله تعالى والمعاد اليه .
(٢) ابن سينا ، كتاب السياسة ، ص ٣ . من مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب ، بيروت ١٩١١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على تقويض أركان المجتمع ، بل النظام الاجتماعي العادل لا يقوم إلا على أساس مزدوج من الدين والفلسفة ، فما يأمرنا به الدين توضحه الفلسفة ، وما تبرهن عليه الفلسفة يأمر به الدين .

تلك هي آراء ابن سينا في المدينة العادلة . وهي مستمدة من آراء أفلاطون في كتاب الجمهورية . ومن آراء الفارابي في المدينة الفاضلة . فابن سينا قد استمدّ من أفلاطون قوله باشتمال المدينة العادلة على ثلاث طبقات هي طبقة المدبرين وطبقة الحفظة وطبقة الصناع ، كما أخذ عنه قوله بانقسام النفس الانسانية الى ثلاث قوى ، وهو قد استمدّ من الفارابي قوله بترتيب أعضاء المدينة العادلة على صورة شبيهة بترتيب الموجودات واتصالها بعضها ببعض كما قلده أيضاً في قوله ان للمدينة العادلة نظاماً من حقه أن يعم المدن كلها . والفرق بين ابن سينا وأفلاطون ان ابن سينا لم يقل بالشيوعية في النساء والمال ، كما قال بها أفلاطون ، بل تشدد في أمر الزواج وعده ركناً من أركان المدينة العادلة كما اعتبر الملكية الفردية القائمة على المال الموروث أو الموهوب أو الملقوط دعامة أساسية في المعيشة . والفرق بين ابن سينا والفارابي ان ابن سينا لم يتصور مدينة خيالية كالمدينة الفاضلة التي تصورها الفارابي ، بل تصور مدينة واقعية يسن فيها رئيسها للناس أحكاماً عملية يوجب عليهم اتباعها في عباداتهم ومعاملاتهم . وهذه الأحكام العملية التي يشير اليها ابن سينا في المعاملات والعقوبات والزواج والطلاق وتحريم بعض الصناعات ، وولاية الخليفة مستمدة كلها من الشريعة الاسلامية . فهو قد تأثر بأفلاطون وآرسطو والفارابي كما تأثر بآراء أهل زمانه ، ولكنه كان أرفق بالشيوخ والمقعدين المحتاجين الى عون الدولة من أفلاطون وآرسطو اللذين يقولان بقتل الميئوس منهم لعجزهم ومرضهم ، كما كان أميل الى حرية الفكر من بعض العلماء الذين يمنعون الاجتهاد . ولعل لأسرته الاسماعيلية ولبيئته الاجتماعية أثراً في كلامه عن الخلافة ، والمدن الضالة ، والمدن المخالفة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي قوله بتبدل الأحكام في المعاملات بتبدل الأزمان . واذا قال ان أكثر الناس لا ينزجرون بأنفسهم لما يخشونه في الآخرة ، وانهم انما احتاجوا الى الوازع الخارجي لأن فعل الخير لا يخالط قلوبهم فهو انما يحكم بذلك حكماً مستنداً الى الواقع والتجربة . ومن قارن بين آرائه وآراء الفارابي في المدينة الفاضلة وجد آراءه أقل انطلاقاً وتحرراً من آراء سلفه . ولكنه كان على كل حال مترجماً صادقاً لروح عصره . ومن عرف انه كان طبيباً حاذقاً يعرف كيف تحفظ صحة البدن اذا كانت حاصلة ، وكيف تكتسب اذا لم تكن حاصلة وانه كان من علية الوزراء يهمه أن يحفظ نظام الدولة لا أن يبدله وبغيره لم يعجب لتقيده بتقاليد زمانه . وليس هذا التقيد بقادح في فلسفته ، لأن هذه الفلسفة تؤمن بالعقل وتتفاءل بالخير وتقول بتنزيه النفس عن الهيئات الانقيادية حتى تحصل لها ملكة الاستعلاء وتنطبع فيها هيئة الجمال ، وتندرج في اللذة الأبدية .

جميل صليبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net